السلام على القدس.. وعلى القدس السلام؟!

أنيس منصور

التحرير

إذا انشغلنا كثيرا بالمشاكل الداخلية فى إسرائيل، فمعنى ذلك أننا أوقعنا أنفسنا فى مصيدة الخلافات المستمرة بين الشعوب اليهودية فى إسرائيل. وقد يكون سبب هذا الانشغال رغبتنا فى أن نعرف من الذى سوف يصدر القرار القادم الذى يساعد على إخراجنا من «المأزق» الذى تردينا فيه..

فنحن تارة ننظر إلى الحكومة، وتارة ننظر إلى الشعب الذى أتى بها. فما دام الشعب متمسكا بحكومته، كان ذلك دليلا على أنه يراها أفضل من غيرها. وأنها قادرة على حل المشكلات الصعبة التى تواجه الجميع..

وإن كان من الصعب علينا أن نفهم بالضبط ما هذا الذى يحدث فى إسرائيل. فكل شىء معقد لأن هناك وجهات نظر كثيرة. وهناك اختلافات طفيفة. ولكن مثل هذه الاختلافات تكفى لقيام مزيد من الاحزاب السياسية..

ومن السهل أن يقال إنه لا اتفاق بينهم على شىء. وأن يقال أيضا لا خلاف بينهم على أى شىء. ومع ذلك فالأحزاب كثيرة.

وفى هذا التبسيط ظلم لجماعات تريد السلام حقاً حرصاً على امان الشعب وأمن الدولة ومستقبل اليهود فى العالم كله..

وحتى لا يتزل الإنسان بقدميه فى مياه السياسة الإسرائيلية العميقة، فلتكن هذه السطور مثل وضع القدم فى الماء وسحبها بعد ذلك..

ⵔⵔⵔ

فما الذى يمكن أن يحدث للقدس مثلا فى القريب؟..

كلام كثير يدور حولها. هم يقولون من مئات السنين: العام القادم فى أورشليم.. ويقولون: إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى.. أى إذا نسيها أى إنسان فهو كالذى ينسى ذراعه، أو كالذراع التى تنسى أن لها جسما!..

والله قال لنا: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله». غير أننا منذ نزول هذه الآية الكريمة لم يقل واحد منا: رمضان القادم فى القدس..

ولا حتى بعد أن أكملت إسرائيل احتلالها للقدس فى سنة ١٩٦٧..

ونحن نرى أن القدس الشرقية جزء من الضفة الغربية. أى يجب أن تتحرر من الاحتلال الإسرائيلى، وأن يكون لسكانها - باعتبارهم من الضفة الغربية - حق التصويت فى الانتخابات..

وحتى إذا جعلنا حل هذه المشكلة على مرحلتين: الضفة الغربية أولا، والقدس بعد ذلك، فنحن نرى أن القدس لا تنقسم. القدس واحدة. وليست عاصمة لإسرائيل..

والفرق بيننا وبين بقية العرب أنهم يطالبون بالقدس أولا، والضفة ثانيا، والجولان ثالثا، وسيناء رابعا، أما نحن فقد طريقنا إلى القدس حررنا سيناء تمهيدا للحل الشامل للنزاع العربى الإسرائيلى، وقيام الدولة الفلسطينية..

وما دمنا قد اخترنا الحوار - أى الكلام - وسيلة للحل، فلا اتفاق كثيرا على مدلول الكلمات. ولذلك كانت الاختلافات لغوية وفقهية. ورغم هذه الصعوبات فقد وجدنا لغة مشتركة، أدت إلى اتفاق على التفاهم، ثم اتفاق على الفهم وعلى السلام.

ووسط جهنم المتغيرات الدولية والصراعات العربية والأزمات السياسية والاقتصادية، كان من الضرورى أن نلتوى فى أيدينا جميعا كل الأدوات الحادة المستخدمة فى معالجة القضايا القديمة الميتة، والقضايا الحية المتجددة. وكان من الضرورى أن نستعير من الأطباء وسائل التوضيح والتشريح.. وأن نستعير من رجال الدين انتظار المعجزة السماوية، ومن رجال الاقتصاد انفراج الأزمة المالية، ومن رجال السياسة وجوههم المتفائلة، وأن نخفى وراء ظهورنا خناجرنا، وأن نستعير من رجال الأدب مثل هذه العبارات التى تضيف مزيدا من الغموض إلى كل شىء!..

وفى فترة وجيزة تلبدت السحب فى كل مكان: إسرائيل تتشدد. والمعارضة تتحفز. والوزراء يخرجون أو يهددون بذلك. واستطلاع الرأى العام يؤكد تفاد

صبر الشعب الإسرائيلى ويهود أمريكا وأوربا ، ويشيرون بإصبع واحدة تتهم شخصا واحدا : السيد مناحم بيجين . وحجة الجميع واحدة : أمن إسرائيل . فهم من أجل أمن إسرائيل لا يريدون أن تقف إسرائيل ضد العالم كله . والسيد بيجين من أجل أمن إسرائيل يجب أن يقف ضد العالم كله . فقد وقفت الشعوب اليهودية مئات السنين ضد العالم كله . واستطاعت أن تبقى أيضا . فلا خوف عليها من غضب الدنيا كلها ! . .

ومنذ أيام وصف وزير خارجية إسرائيل السيد شامير الأمم المتحدة بأنها « ماخور العداء للسامية » – أى أن العالم كله غلطان فى حق إسرائيل !

وليست إسرائيل وحدها المعادية للعالم كله ؟ !

أما الأساليب السياسية فى الاستفزاز ، فهى تقليدية . وليس فيها جديد . فقد دفعت الحكومة الإسرائيلية عضوا فى الكنيست إلى اقتراح بأن تكون القدس عاصمة لإسرائيل . . ولا أحد يجرؤ على أن يعارض هذا الحلم ، أو يعترض على تجديد الاعتراف بالأمر الواقع . . ووافقت الكنيست على هذا القرار . وقد لا يكون لهذا الاقتراح أى صدى ، فإسرائيل ما تزال تحتل القدس شرقا وغربا منذ ١٣ عاما . ولكنها مناورة سياسية . ثم ترى الكنيست مرة أخرى إحالة هذا القرار إلى اللجنة السياسية . وقد لا يكون لهذا أى صدى سياسى . ولكنه استمرار فى « إغاظة » مصر والعالم العربى والأمم المتحدة . .

وقد جربت إسرائيل ذلك كثيرا . حتى أمريكا لم تستطع أن تجاريها أو تداريها . . إنما عارضتها وأدانتها .

أما قرارات الأمم المتحدة فهى تبعث على الضحك فى صياغتها أو فى مدلولاتها . وإذا لم تضحك إسرائيل لهذه القرارات ، فلم يفتها أن تستخف بها . .

فقرار مجلس الأمن الخاص بالقدس يقول : يستنكر مجلس الأمن بأشد العبارات ، الإجراءات التى تغير الوضع القانونى لمدينة القدس . .

ولك أن تسأل ما معنى الاستنكار بأشد العبارات ؟ . . إن هذه الجملة توهمك بأن هناك تفسيرا لمعنى « أشد العبارات » . ولا تجد ملحقا أضيف إلى هذا القرار ، إنما فقط هذه العبارة . وانتهى التهديد .

وفى القرار أيضا أن مجلس الأمن « يدعو إسرائيل على وجه السرعة » إلى الرجوع عن كل ما اتخذته من إجراءات تؤدى إلى هذا التغيير . ولم يشرح لنا القرار معنى السرعة ، ولا الوسائل السلمية أو اللاسلمية التى استخدمت فى نقل القرار وتوصيله وانتظار الرد عليه . .

ويقول القرار : وإذا كان رد إسرائيل سلبيا ، أو لم ترد ، يعود المجلس للانعقاد بلا إبطاء للنظر فيما ينبغى اتخاذه من إجراءات فى هذا الموضوع . .

ولم ترد إسرائيل . ولم تفعل أى شىء .

وانعقد المجلس بلا إبطاء ، واتخذ مالا ينبغى – لأنه اكتفى فقط بالتهديد بالكلام والاستنكار الشديد وعلى وجه السرعة (؟ !) . .

وأصبحت قرارات الأمم المتحدة التى أدانت إسرائيل سبع مرات فى ثلاثة شهور ، مثل النكتة التى أطلقها السوفيت على الشعب الصينى . فقد ذهب رجل صينى إلى بيته ليجد رجلا آخر فى فراشه . فقال له غاضبا : هذا هو الإنذار رقم ٢٤٢ . فإذا لم تبرح هذا المكان فى مدى ٢٤ ساعة فسوف أطلق عليك الرصاص ؟ ! . .

واستنكر مجلس الأمن موقف إسرائيل من القدس . وامتنعت أمريكا عن التصويت . لأن أمريكا ترى أن القدس ليست عاصمة لإسرائيل . ولذلك جعلت سفارتها فى تل أبيب . وجعلت قنصلها العام فى القدس الغربية ، وتمثيلا قنصليا فى القدس الشرقية ! . .

وفى نفس الوقت أعلن السيد مناحم بيجين أنه سوف ينقل مكاتب رياسة الوزارة وبعض الوزارات الأخرى إلى القدس الشرقية . وكان فى نيته أن يحتل مكتبه المبنى القديم للسفارة السعودية فى حى الشيخ جراح فى القدس ، لولا أن حذرته أمريكا من ذلك . وسوف ينقل مكتب رئيس الوزراء إلى القدس الشرقية . . وسوف يرى العالم كله أن السيد بيجين لم يحدث أى تغيير قانونى للقدس . . لأن وجود مكتبه ليس فى خطورة وجود قوات عسكرية أو قرار الكنيست أن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل ! . .

ايزنهاور .. باع اليهود واشترى العرب

د . فيليب حتى كانت مأساته عنيفة

حاييم وايزمان .. طرد العرب إلى الصحراء

وفى نفس الوقت نحن نحاول أن نجلس سرا فى واشنطون ، وبعد ذلك علنا لتناقش فى « جدوى » أو « عدم جدوى » استئناف المفاوضات . ويمكن أن توصف المفاوضات فى واشنطون الآن « بمفاوضات المفاوضات » لأن موضوعها ليس الحكم الذاتى والقدس . ولكن موضوعها هل نعود إلى التفاوض ؟ . . وإذا عدنا فهل نبدأ من البداية أو نكمل ما بدأناه ؟ . . أو هل نكتفى بتنشيط كل اللجان ، حتى نزيل ذلك الجو القاتم الذى سيطر على الرأى العام هنا وهناك ؟ . .

أما الذى بدأناه فى مدينة هرتسلية فلم يكن سوى الجلوس معا ، نشرب القهوة ونلعن أعمال الإرهاب وقتل الأبرياء ، ثم لا ندخل فى جوهر المناقشات . أما السبب فهو أن هناك « ضرورة » يجب أن نحل طلاسمها قبل أن نبدأ أى شىء . وهى : الأمن الإسرائيلى . .

ومشكلة « الأمن » هى مشكلة إسرائيلية معقدة جدا . . ثم إنها مشكلة نفسية أولا ، وتفاوضية ثانيا . . فإسرائيل حريصة على أن تضع بينها وبين الناس من الأصدقاء أو الأعداء « منطقة حراما » أو « شقة عازلة » . . وهذه الشقة الحرام تمنع الدخول إليها . وكانت قبل ذلك : الحدود الآمنة . أو كانت الحدود . . ثم كانت بعد ذلك الحدود الآمنة المعترف بها . . ثم الأمن . . ثم المستوطنات . . وأخيرا وليس آخرا : القدس ! . .

ووقفنا عند الأمن الإسرائيلى ، ولم نستطع أن نتقدم خطوة واحدة . . وتوقف كل شىء بعد تصويت الكنيست على إحالة المشروع الذى تقدمت به السيدة جئولا كوهين إلى اللجان المتخصصة . وقدمت إسرائيل توضيحا رآه الرئيس السادات مقبولا وسببا معقولا لاستئناف المفاوضات . ثم توالت الأحداث الاستفزازية فى إسرائيل . . وتوسطت أمريكا بيننا . وإيمانا منا بصعوبة كل شىء ، وعدم اليأس من أية محاولة ، ذهبنا إلى واشنطون لنرى ما الذى يمكن عمله ، وما الذى يمكن قبوله أو رفضه من ذلك .

ومن المؤكد أن الذى وافقنا عليه ليس هو الجوهرى . لأن الجوهرى مرفوض من الطرفين . اذن فلابد اننا وافقنا « على شىء ما » . لكى يوصلنا إلى « مناقشة » ذلك « الموضوع » الذى استحال علينا قبوله فى الـ ١٦ شهرا الماضية !

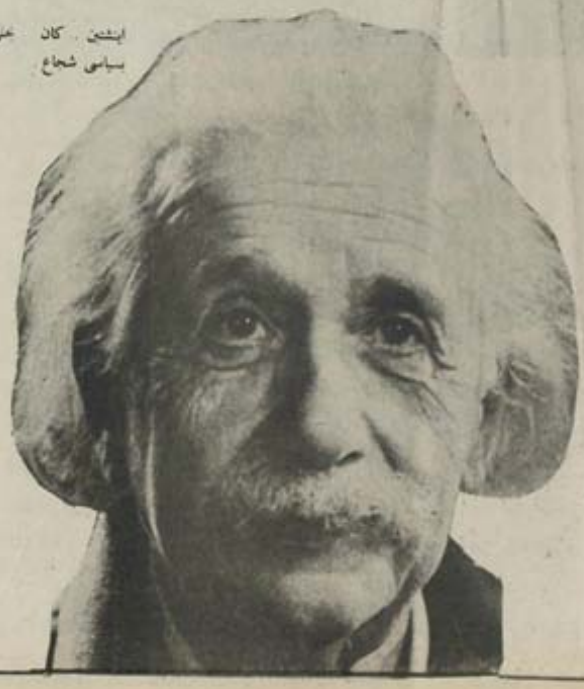

اينشتين . كان عالم سياسى شجاع

..قلا عودة إلى الحلول العنيفة للمشاكل الأكثر عنفاً . .

لقد مضى ذلك الزمن الذى كان يرى فيه السيد فايتسمان أول رئيس لإسرائيل ، ضرورة طرد العرب من فلسطين إلى الصحراء التى جاءوا منها ! . .

وكان السيد بن جوريون يرى طرد العرب إلى العراق – مع أن يهود العالم كله قد جاءوا من مدينة « أور » فى العراق ! . .

وكلا الرجلين يريد أن يفسح بالعنف مجالا على أرض الغير ، للمهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم ! . .

وهى نزعات دموية ، تماما كالذى يحل أزمة المساكن فى الضفة الغربية بوضع نصف الشعب فى السجون !

إذن . . لقد تغيرت النظرة الى مثل هذه الحلول الغاضبة العنيفة . واهتدينا إلى الحوار وإلى الطريق الصحيح إلى السلام . وتجربة مصر هى الرائدة . ولم يهتد العرب إلى طريقة أخرى . وكل الطرق صعبة . فالمشاكل النفسية ما تزال حية ساخنة . والمتاعب السياسية والاقتصادية والضغوط الدولية أشواك ملتهبة فى الطرق الملتوية بيننا جميعا . ورغم ذلك فقد تحقق شىء كثير . ومن الممكن أن نكمل الطريق إلى أنبل أهدافنا . وما حققناه هو الذى يشجعنا على الاستمرار ، والاستمرار هو ممر التفاؤل بين الشعوب التى تريد السلام قولا وفعلا . .

ومنذ أيام تلقى الرئيس السادات كتابا لم يطبع بعد ، من الأستاذ جيرالد تاوبر عالم الفيزياء فى جامعة تل أبيب . .

الكتاب يضم مجموعة من المقالات والخطب والرسائل للعالم الرياضى الألمانى اليهودى البرت اينشتين صاحب نظرية النسبية . . الكتاب بثلاث لغات : الانجليزية والعبرية

دالاس .. كان مصيبة !

والعربية ، وعنوانه : « اينشتين والعرب والصهيونية وفلسطين » .

وفى الكتاب مناقشة حادة بين اينشتين والمؤرخ اللبنانى د . فيلب حتى . وفى هذا الكتاب يتحدث اينشتين عن متاعب الشعوب اليهودية فى العالم . وعن أملها فى التعايش مع الشعب الفلسطينى وأن السلام خير على الجميع وخيرهم ، وأهم ما فى هذا الكتاب أنه يكشف لنا جانبا خفيا من حياة العالم الكبير ، وهو التزامه بالصهيونية وقضية الشعب اليهودى بحماسة شديدة – وهذا طبيعى ، ولكن لم يكن ذلك معروفا لنا . .

وقد جمعت جامعة تل أبيب هذه المقالات فى ذكرى مرور مائة سنة على ميلاد اينشتين سنة ١٨٧٩ ، وفى ذكرى معاهدة السلام مع مصر . ورأت الجامعة أن تهدى باكورة أبحاثها عن السلام إلى رجل السلام : أنور السادات . .

ومن آمال اينشتين أن يكون حوار بين العرب واليهود ، بعيدا عن الدول الكبرى التى تعمل لحسابها . وأن يكون هناك « مجلس سرى » من اليهود والعرب . هذا المجلس يضم أربعة أعضاء منتخبين من نقاباتهم : طبيبا ومحاميا وعاملا ورجل دين . ويلتقى هؤلاء الثمانية سرا . ولا يصدرون أى قرارات علنية . وأن تكون هذه القرارات بالتصويت . ويرى اينشتين أن هذه هى قمة الحوار وأسلم الطرق إلى السلام بين اليهود والعرب فى فلسطين أو فى الشرق الأوسط . .

ويقول اينشتين : إن الرئيس ايزنهاور قد ضحى باليهود من أجل العرب . ويقول إن فوستر دالاس « مصيبة » ، فقد تظاهر بالسلام أملا فى بلوغ أهداف استعمارية . .

وفى نهاية هذا الكتاب يقول اينشتين : إن الأمور التى تتعلق بالحق والعدل لا يمكن التمييز فيها بين مشاكل صغيرة ومشاكل كبيرة . لأن المبادىء العامة التى تحدد تصرف الإنسان غير قابلة للتجزئة ، كما أن الذى يتسرع فى الحكم على الأشياء الصغيرة يفعل ما هو أسوأ من ذلك فى الأمور الكبيرة . .

وكان اينشتين يعلق على الصراع المصرى الإسرائيلى . ويرى أنه ليس صغيرا بحيث لا يهز العالم كله . لأن السلام كالحرب لا يتجزأ . كما أن مصر وإسرائيل ليستا الدولتين الوحيدتين المتجاورتين فى العالم . كما أن الحرب بينهما سوف تفزع العالم كله . .

ويقول اينشتين أيضا : إن الصراع العالمى تقليدى . إنه يتجدد بين حين وآخر ويتخذ شكلا دينيا ! . .

وفى ختام كلمة اينشتين سنة ١٩٥٥ فى ذكرى احتفال إسرائيل بالسنة السابعة على قيام الدولة ، قال ولم يكن يعلم أنه يتنبأ بمبادرة السادات :

لم يستطع سياسى يشغل منصبا مسئولا أن يتخذ قرارا جريئا ، فيختار السبيل الوحيد الذى يؤدى إلى السلام ، مرتفعا بذلك فوق حدود الوطنية الضيقة . .

والذى تمناه العالم الكبير من ربع قرن قد تحقق .

ولأن هذا الذى حدث شىء غير مألوف . فالخوف عليه هو أعمق مشاعر الشعبين الإسرائيلى والمصرى . ولذلك كان الغضب على التعنت الإسرائيلى . ليس فى إسرائيل وحدها ، إنما فى العالم كله ، وبين كل الجاليات اليهودية .

فلا تزال القدس مدينة السلام لا تعرف السلام . . لقد تجاور المسجد الأقصى وحائط المبكى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة . . ولكن تباعدت قلوب المؤمنين بالأديان الثلاثة .

وتحاول السياسة – الآن – أن تحقق ما عجزت عنه الأديان . .

وإذا كانت الخلافات فى المفاوضات لغوية ، فلا تزال اللغة ومفرداتها هى الوسيلة الوحيدة للتعبير . وكل أنواع الحوار هى مغامرات لغوية قبل أن تكون فكرية مذهبية . .

فنحن نقول : السلام على القدس ، أى ليكن السلام على رباها ووديانها ومعابدها وشعبها . .

وهم يقولون : بل عليها السلام . . أى أنها انتهت . وأنها لم تعد قضية . ولذلك فهى غير قابلة للمناقشة ، فقد ضمتها إسرائيل إلى الدولة ، وأقفل الباب والشباك وأطبقت الأفواه . .

ونحن نقول : بل أبوابكم وأفواهكم أنتم . . أما نحن – ٨٠٠ مليون مسلم – فأفواهنا تهب منها العواصف ودعوات إلى الله فى ليلة الإسراء والمعراج ، وفى رمضان القادم وكل رمضان . .

إن هذا التحدى للعالم الإسلامى وللعالم المسيحى ، لأكبر مما تقوى عليه حكومة فى إسرائيل ، بل إسرائيل نفسها ! . .

وإذا كان هناك الآن ما يضايق إسرائيل من « برودة » فى تطبيع العلاقات . فليست مصر هى السبب . .

وفى إسرائيل شعور بالمرارة واليأس والتشاؤم . وهو شعور صادق له ما يبرره . . وإذا كانت الشعوب اليهودية قد انتظرت طويلاً حتى يظهر فيها « هرتسل » يطالب بتأسيس الدولة التى دفن فيها ولم يرها ، فإن اسرائيل اليوم فى حاجة إلى « هرتسل جديد » يطالب بإسرائيل جديدة تحقق السلام وتعيش به ، دون أن تلتفت وراءها فى خوف ، وتتطلع أمامها فى فزع . .

..وإلا تجددت كل الألوان القاتمة فى نسيج التاريخ البعيد والقريب . .

□